

الموضوعات المحققة

التعذيب والعقاب

(للاستاذ محمد عبد الله عنان الحامي)

ختم الحديث

وفي التاريخ الايطالي أمثلة رائعة لتعذيب أشخاص عظام كانت
مستقى خصيصا لاقلام الفيرى واسكندر ديماس وميشيل زيفاكو ومجلس
الدماء وجسر الزفرات والتائمة أسما، تقطر صحف التاريخ دما وتمطرها
اشلاء وستقص بعضها على القارىء اتماما للعظة التاريخية والاجتماعية
(المثل الاول)

في ليلة ٢١ اغسطس سنة ١٣٤٢ قتل أندريا المجرى ملك نابولى
وبيت المقدس بتحرير زوجته وبعض رجال البطانة الملكية فأصدر البابا
الكليمنص السابع أمرا الى رئيس القضاة بجمع الادلة المثبتة لادانة
القتلة. فأمر بالتبض على كل من اعتقد او اوحى اليه بأنه شريك في الجرم
من سادة وسيدات. وقضى باحالتهم جميعا على التعذيب للاعتراف
« فربط منهم اثنان اعتبارا فاعلين أصليين كل الى ذيل جواد وجرحهما
الجلادون على ذلك النحو في شوارع المدينة حتى أساما النفس الاخير
واقناده الجلادون باقي المتهمين الى ساحة واسعة فيها معدات التعذيب

وكلهم موثق الى ما وراء عجلة صغيرة وحوله جلادان يضربانه بقضيب
من الحديد فينبثنى الدم من جسده ويصبغ الارض بلون الارجوان
وربطت غادنان فتيان من أميرات البلاط الى عجائتين بعد أن
جردتا من الثياب. فأحاط بهما الجلادون وأخذوا يقطعون من جسدتهما
الفتاتين بخناجرهما الحادة قطعاً من اللحم يلقيونها الى الناس فيختطفونها
بحماس شديد ويشيرون للجلاد الى أفضل مكان يجب التقطع منه

وكان رئيس القضاة قد أمر ان تنصب في الميدان محرقة عالية
واليها أخذ المحكوم عليهم والقيت الى النيران بقايا أجسادهم الممزقة
«ثم دوى المكان بصياح هائل غشى صياح أنين القتلى وانقضت
الجاهير فتخاطفت من النيران بقايا المحكوم عليهم وأخذت تمزقها شذر
مذر وكل يجتهد في اغتنام أثر يبقيه تذكاراً لذلك اليوم المشهود !»

(المثل الثاني)

وفي عهد كليمنصن الثامن قتل عظيم من عظماء رومة يدعى
فرنسيسكو شنشى وهو أب جاوز وحشية الكواسر فاتهك عفاف
ابنته. وانتقمت المسكينة لعفافها المغتصب بتدبير مقتل المعتدى الاثيم
وارتاع قداسة البابا عند عامه بتفاصيل تلك الجريمة أيما ارتيساع
فأمر أن يطاف بالمجرمين في شوارع رومة سر بوطلين الى ذيول الخيل
لو لا أن توسط لديه في طلب الرأفة وفد من الكرادلة والمعلماء. وخشى
قداسة البابا أن يستأثر جمال بياتويس شنشى - ذلك الذي اعتبره رفائيل

ملائكيا - قلب قاضيا فعهد بها الى قاض عرف بالجمود والصرامة
 فلما راجع ماتم في التحقيق لاحظ ان بوليس القاضي الاول ،
 اقتصر على معاملة المتهمه بالتحقيق الاعتيادي . فامر ان تعامل به وبغير
 الاعتيادي . وذلك النوع من التحقيق او التعذيب هو تحقيق الجبل
 الذي شرحناه فيما سلف وهو كما قلنا من افضع الطرق الجهنمية التي
 استنفد الانسان ذكائه في استنباطها لتعذيب المجرمين والابرياء ، والى
 القارىء نص تقرير التعذيب الذي املاه القاضي واثبته الكاتب مأخوذا
 من اوراق القضية المحفوظه بمكتبة الفاتيكان :

لما كانت المتهمه بياريس شنشى قد اُصرت أثناء التحقيق على
 الانكار فقد نقلت بحراسة جنديين من السجن الى غرفة التعذيب حيث
 كان المحقق في انتظارها . وبعد ان قص شعرها أمر المحقق بطرحها
 فوق مقعد الاتهام ثم بتجريدتها من ثيابها وايقاد يديها وراء ظهرها ثم
 انفاذ الجبل اليوثقه به من حلقة بسقف القاعة وربطه في عجلة في اسفلها
 تدار بقوة رجلين واربعه عصي

وقبل البدء بالتعذيب سألها المحقق أن تعترف بالاشتراك في مقتل
 أبيها ولكنها بالرغم من أقوال اخويها وزوجة ايها وتوقيعهم على محضر
 الاعتراف اصررت على الانكار قائلة : عذبوني وافعلوا بي ما شئتم . لقد
 قلت الحقيقة وان اقول سواها ، ولو قطعتموني اربا

فبدأ العذاب وامرنا برفعها قدمين ثم تركناها ريثما تلونا الصلاة

وعدنا الى سؤالها عن الحقيقة فأبت ان تعترف بشي، ولم تجب بغير هذه العبارة: انكم تقتلونني ! انكم تقتلونني

فرفعناها اربعة اقدام وعدنا الى الصلاة. وفي اثناء تلاوتها تظاهرت بالاغماء فالتقينا على رأسها ماء باردا فلما افاقَت صرخت « رباه ! اني هالكة لا محالة انكم تقتلونني. رباه ! ولم نجب بشي،

فعدنا الى رفعها والى الصلاة بينما كانت تتفقد وتقول — رباه ! ولم تشاركنا في صلاتنا.

ثم عدنا الى سؤالها عن الجريمة فأبت ان تعترف بشي، وكررت انها بريئة وعاد الاغماء اليها

فالتقينا الماء البارد على رأسها مرة أخرى ففتحت عينيها وصاحت تباً لكم ايها الجلادون ! انكم تقتلونني. انكم تقتلونني ! ولم تقل سوى ذلك.

فلما رأينا اصرارها على الانكار أمرنا الجلاد ان يبدأ برفعها وخفضها فرفعها نحو العشرة اقدام ثم استوقفناه وطلبنا منها ان تعترف غير انها، اما لعجزها عن النطق او اصرارها على الصمت، لم تفعل سوى ان حركت رأسها اشارة بالرفض

فاشرنا اليه ان يخفض الجبل فهبطت من ارتفاع عشرة اقدام الى قدمين. ولشدة الصدمة دار جسدها في جهة معاكسة لذراعها فصرخت صرخة منكرة واغمى عليها

« فالقينا على وجهها ماء بارداً فأفاقت وصرخت — تباً لكم من
 ائذال قتلة ! انكم تقتلونني ولكن لو فصلتم ذراعي من جسدي ما قلت
 شيئاً »

(المثل الثالث)

ويذكر التاريخ الحديث للقضاة الايطالي مثلاً اخر للتعذيب. ففي
 سنة ١٦٣٠ اتهم عدة اشخاص بحمل الوباء الى ميلان وبتلويت جدران
 « نازلها بالسّم فباشر الدفاع عن المتهمين المحاميان فيري وفنزوني واوضحا
 كيف ان نظام التعذيب يؤدي الى التحكم وسوء التصرف في اوقات
 الرعب العام. وقدم فنزوني أسطع الحجج مسندة الى اجل المصادر على
 فساد التهمة التي عذب من اجلها بريثان بمذاب الحبل الذي ينتهي بهشيم
 الراحة والاصابع ثم اعدما بواسطة العجلة. وهذه هي الدفوع التي قدمت
 مأخوذة من الشهادات المعروفة واقوال الشراح (١) اتهم شخص
 بالاشتراك لا يكفي لجعله شريكاً ما لم يشهد باشتراكه اثنان او يعترف
 (٢) شهادة الرواية او السماع يجب ان تسمع قبل الشهادة المباشرة
 (٣) الاعتراف المنتزع اثناء التعذيب لا يمكن اقراره بعد (٤) لا يعتبر
 الاعتراف الحاصل بناء على وعد بالعفو (٥) لا قيمة للاعتراف عن
 جريمة مستحيلة

هذه ايها القارئ لمحة من انظمة التعذيب في القرون الوسطى
 والحديثة فمكدا كان القضاء والعدالة، وهكذا كانت قوانين الكنيسة
 العادلة الرحيمة وهكذا كانت نفسية الشعوب

التعذيب في فرنسا

بقيث لي كلمة عن التعذيب بفرنسا :

كانت انظمة التعذيب والعقاب بفرنسا قبل القرن الرابع عشر اقل فظاعة من انظمة القضا الايطالي والاسباني، وذلك لان فرنسا لم تنغازعها العوامل القوية او الدينية بالشدة التي عصفت بإيطاليا واسبانيا ولذلك لم تقم فيها مجالس التحقيق بدور هام ولم تتخذ الزعامة السياسية التشريعية كما فعلت في اسبانيا ومستعمراتها

ولكن اتخذت هذه الانظمة بفرنسا وجهة رائعة منذ القرن السادس عشر. ولم تكن عندئذ تختلف اختلافا كبيرا عن امثالها في البلاد الاخرى اذ كانت مأخوذة كغيرها من القوانين الرومانية والكنيسية

وكان تنفيذ العقاب في القضا الفرنسي اكثر امتزاجا بأنظمة التعذيب من التحقيق فكانت عقوبة الاعدام تنفذ بأشكال رائعة هي مثال الوحشية كأن يوثق المحكوم عليه الى عجلة ويوثق كل من ساقيه بمؤخرة جواد. ثم يساق كلا الجوادين في اتجاه مخالف فتتم عملية الاعدام فأن يشق المحكوم عليه الى نصفين متماثلين او يمزق شر ممزق. او يصلب المحكوم عليه وتمداطرافه وتدفع رأسه الى نافذة مصلب يسمى (البالوري) يذخمتطف الجلاد رأسه بفأسه او سيفه. او يحرق المحكوم عليه حيا، طريقة (الاتوراني) الاسبانية وهي والتي كانت متبعة في اعدام الكفرة والسحرة والنور

وقد كان يصحب التحقيق ألوانهاائلة من العذاب كقطع الاطراف
او حرقها او افعام الجروح بالرصاص المذيب او ادغام المتهم على تجرع
الماء القذر او الحار ووخزه بالابر والخناجر وكان تعذيب الحبس الذي
وصفناه في مقال سابق اكثر من غيره شيوعا في الجنايات

ويمتاز القضاء الفرنسي القديم بتشديد العقوبات المقيدة للحرية
والتفنن في ايقاعها فقد كان السجن في الشاتلية او الباستيل في بعض
الاحيان أسوأ عقوبة الاعدام ذاتها. وقد نسهب الكلام يوما عن الباستيل
وحياة المحكوم عليهم بالسجن فيه. ذلك الصرح الذي كان قبراً لعقول
المفكرين من الكتاب والساسة والمصلحين والذي زج الى ظلامه فونثير
وميرابو والذي حطم الفرنسيون فيه رمز الاستعباد والظلم يوم فاتحة
الثورة واتخذوا يوم سقوطه عيداً سامياً تقديس ذكراه



والعدل في الارض يبكى الجن لو سمعوا به ويستضحك الاموات لو نظروا
فالسجن والموت للجائنين ان صفروا والمجد والفخر والاثراء ان كبروا
فسارق الزهر مذموم ومحتقر وسارق الحقل يدعى الباسل لخطر
وقاتل الجسم مقتول بفعلته وقاتل الروح لا تدرى به البشر
جبران خليل جبران